

ثمرة بلا أغصان



نسلت بين الجموع كي تفوز بنظرة إليها، وراحت تتأمل ذلك الوجه البريء وذلك الجسد المغري وتلك الملامة التي تعبر عن روح شفافة استطاعت ببساط أن تأسر أكثر شباب القرية ثراء، وجعلته يقف في وجه عائلته حتى تسمح له بالزواج منها.

أغمضت عينيها وهي تتذكر كيف تخلت عنها، وسقطت الدموع تبكي تلك الليلة التي استسلمت فيها لمن تحب، وأعطته حقا لا يستحقه، ليلة حب كستها غيوم الغدر فأثمرت جنينا كرهت أن تحفظ به، وعملت بجد في التخلص منه ولكنها فشلت، خشيت من افتضاح أمرها خاصة عندما نضبت مشاعر الآدمية لدى ذئب الحب، وتركها تتخطى، محاولة تفادي عاراً أوشك أن يتلبسها، اعتزلت الجميع، وتوارت تماما عن الأنطام إلى أن وضعتها ذات ليلة ممطرة، حولت شوارع القرية إلى وحل تغوص فيه الأقدام .

لم تضمهما إلى صدرها، لم تنظر إلى ملامحها الدقيقة، صرخات الطفلة أثارت جنونها فوضعت يدها على فمها محاولة إخراج تلك الروح العنيدة، لو لا أن تداركتها مشاعر أقوى من رغبتها في الانتقام من حبيب غادر وثمرة حب جاءت لكي تكشف ستراً طالما توارت خلفه، لفتها في خرقه بالية وبيد مرتعشه ألقت بها إلى عرض الطريق.. ليل توأطأت ظلمته معها وعادت إلى بيتها محاولة اقلاعها من قلب كان السبب في نكبتها. تطوعت إحدى نساء القرية بكفالتها وبالرغم من كل شيء كانت تلقب "بنت الحرام"، عندما شبت كان شغل

نساء القرية الشاغل هو الربط بين ملامحها وملامح مطلقات القرية وأراملها حتى يكشفوا عن شخصية تلك الآئمة التي تخلت عن نقاوتها ولطخت بالعار طفلة لا ذنب لها سوى أنها نتيجة طبيعية لضعف إنساني المشاعر، حيواني الرغبات .

جلست بجوار "عريسها" في شموخ استمدته من ذل تجرعه منذ بدأ تعي الحياة، ترتدي ثوباً ناصعاً البياض لم تجرؤ فعلة والدتها على تدنيسه هذه المرة .

تمنت لو وقفت بجوار ابنتها تتلقى التهانى ككل أم، تمنت لو احتوتها بذراعيها واحتوت بداخلها كل تلك السعادة التي تشع من عينيها، سلبها الموقف اتزانها وأخذت تقترب إلى أن كانت تصل إليها، وتذكرت يوم أن ذهبت إليها لتخبرها بأن من تقف أمامها هي أمها الحقيقية وطلبت منها أن تسامح يداً آثمة ألقت بها متعمدة في وحل الشوارع فنظرت إليها تلك النظرة التي جعلتها تذرف كل تلك الدموع التي لن تصدر سوى عن قلب عاش طوال عمره بالظلم وما أن صادفت عينيه الخفاسيتين ضوء الندم حتى أذل كل الدموع .

تلاقت نظراً تهما للمرة الثانية فاصطدمت عيناها بنكaran لصلة ما، ما أن بدأها الحب حتى فضمتها العار، نظرة ملأت عيني العروس بدمعة كادت تترجمها أن تنسى ليلة الشتاء تلك وأن تبحث عن شيء آخر تدعه كل مشاعر الندم .